قطع العلاقات مع ايطاليا، وكذلك رفضه انزال قوات بريطانية في البصرة ما لم يتمّ الاستجابة لشروطه القاضية بمرور تلك القوات عبر الاراضي العراقية دون تمركزها. وكان من مؤشرات هذا التفكير ان السفير البريطاني أخذ يماطل بموعد تقديم أوراق اعتماده سفيراً لدى العراق، بغرض كسب الوقت الى حين وصول القوات البريطانية الى البصرة[٤٠]، الامر الذي أثار حفيظة العقداء الاربعة، ودعاهم الى التفكير جدياً، بمواجهة عسكرية مع القوات البريطانية.

أمّا المفتي، فكان يرى ضرورة تجنّب تلك المواجهة، لأن الجيش العراقي، من وجهة نظره، لم يكن أكمل، بعد، الاستعدادات التي تؤهّله للاشتباك مع القوات البريطانية. واستطاع التأثير في القادة العسكريين لضبط النفس، آملاً في كسب مزيد من الوقت حتى وصول مساعدات المانية، ورد ذكرها في رسالة كان سكرتير المفتي، عثمان حدّاد، بعث بها الى الكيلاني من برلين، في شباط (فبراير) ١٩٤١، مؤدّاها: «ان المانيا ستقوم بامداد العراق، عند وقوع الحرب، بكل ما تريده من قاذفات القنابل، التي يمكنها قطع المسافات البعيدة؛ كما وان المانيا ترى ضرورة احتلال الجيش العراقي لقاعدة الحبانية الجوية، اتقاء لما سيحدث». وفي ١٩٤١/٤/٣٠، أرسلت وزارة الخارجية الالمانية كتاباً الى الكيلاني والمفتي، ورد فيه: «ان ألمانيا، التي لم تحتل قط أرضاً عربية، ولا تستهدف ان تستولي على أي جزء من البلاد العربية، وهي ترى ان الشعب العربي هو شعب ذو ثقافة قديمة، وقد برهن عن لياقته الادارية، وفضائله العسكرية وجدير بأن يحكم بلاده بنفسه. ولهذا، فان ألمانيا تعترف باستقلال البلاد العربية، استقلالاً تامّاً، ويحق للبلاد العربية، التي لم تستقل حتى الآن، ان تنال استقلالها التام»[٤١].

وكان من شأن هذه المستجدات زيادة وساوس ونستون تشرتشل، وتخوّفه من ضياع العراق وسقوطه في قبضة قوى المحور، الامر الذي حال، بدوره، دون اتباعه لسياسة متوازنة من شأنها التوصل الى التسوية اللازمة لانهاء التوتر بين طرفي الصراع في العراق. وعليه، أصرّ على حسم الامور عسكرياً، لاقتناعه بأن القوة، وحدها، هي الوسيلة «الصالحة» لمعالجة الموقف السياسي، قبل ان تزحف القوات الالمانية باتجاه منطقة الشرق الاوسط[٤٢].

كان الجيش، آنذاك، يعمل بكل الوسائل ليحمل الحكومة على تحقيق أمله في التصادم مع القوات البريطانية. حتى ان القادة طلبوا، ذات مرة، ان يجتمع «مجلس الدفاع الاعلى»، المؤلف من الوزراء والقادة العسكريين، برئاسة رئيس الوزراء، بهدف اتخاذ قرار يبرّر التصادم باسم «الدفاع عن النفس»[٤٣]. ولتعميق التوجّه نحو الصدام، قررت وزارة الدفاع تشكيل قوة عسكرية، بقيادة فوزي القاوقجي، وجهّزتها بالمعدّات والذخائر، للقيام بعرقلة تقدّم القوات البريطانية القادمة من فلسطين وشرق الاردن[٤٤]. اضافة الى ذلك، تمّ تشكيل مجموعة ثانية من المقاتلين، بقيادة عبدالقادر الحسيني، تمركزت في «ابو غريب»، وكانت مهمتها مناوشة القوات البريطانية، أو تأخير تقدّمها[٤٥].

ولم يطل الامر، اذ سرعان ما وصلت الامور الى نقطة الحسم العسكري. ففي فجر اليوم الثاني من أيّار (مايو) ١٩٤١، اقلعت الطائرات البريطانية من قاعدة الحبانية، وأغارت على القوات العراقية المحيطة بسن الذبّان؛ وبهذه العملية الهجومية، اندلعت الحرب العراقية ـ البريطانية. وخلال ذلك، وعلى نحو منسّق، قامت وحدة من الجيش البريطاني في فلسطين، قوامها فصيل مشاة وبطارية مدفعية، مدعومة بمساندة من «الجيش العربي»، بحملة عبر الصحراء، واحتلت مطار الحبّانية[٤٦].

وعلى اثر وصول أنباء الصدام الى بغداد، اجتمع مجلس الوزراء في دار وزير المالية، في